﴿۞وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥١ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾ [القصص: 51 - 52]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

قد تقعُ الآية ممَّا قبلها موقِعَ الاحتراسِ البلاغيّ؛ فتكونُ مِن تمامها

لمّا بيَّنَ النَّظمُ الجليل أنَّ الله تعالى لا يهدي الظّالمين، وأنَّهم لا يستجيبون لدعوة النَّبيِّ ﷺ، وبيَّن إعراضَهم؛ أكَّد ﷻ أنَّهم لا عذرَ لهم على إعراضهم وعدمِ استجابتِهم، وأنَّ الحُجَّة قائمةٌ عليهم، وأتبَع ذلك بمدح طائفة من أهل الكتاب استقامت قلوبُهم، وخلصت نفوسُهم مِنَ العِناد، فأتْبَعوا إيمانَهم بسابق الشَّرائع بإيمانهم بالإسلام(1).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَصَّلۡنَا﴾: (وصل) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ضَمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حتَّى يَعْلَقَهُ(2)، ومنه الاتِّصالُ: وهو اتِّحادُ الأشياء بعضِها ببعض، كاتِّحاد طرفَي الدّائرة، ويضادُّ الانفصالَ، ويستعمل الوَصْلُ في الأعيان وفي المعاني، يُقالُ: فلان مُتَّصِلٌ بفلانٍ؛ إذا كان بينهما نسبةٌ، أو مُصاهرة(3)، ووصلتُ الشَّيء وصلًا وصِلةً، ووَصَلَ إليه وُصولًا، أي: بلَغ، وأوصله غيره(4)، وكلُّ شيءٍ اتَّصل بِشَيْءٍ، فَما بَينهما وُصْلَة(5)، والتَّوصيلُ هنا: مُبالغةٌ في الوصل(6)، وهو ضَمُّ شيءٍ لشيءٍ، ومعناه: أنزَلنا القرآنَ يَتْبَعُ بعضُه بعضًا، فاتَّصَل عندَهم.

2) ﴿ٱلۡقَوۡلَ﴾: (قول) أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يَقِلُّ كَلِمُهُ، وهو القولُ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 291، وطنطاوي، التّفسير الوسيط: 10/ 418.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وصل).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (وصل).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (وصل).
(5) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (وصل).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/ 127.

منَ النُّطقِ، والمقَوْلُ: اللِّسانُ[1]، والقَوْلُ: مصدرُ (قالَ)، ومعناهُ: الكلامُ على التَّرتيبِ، أو كُلُّ لفظٍ نَطَقَ بهِ اللِّسانُ، سواء كان مُفيدًا أم لم يَكُن، يُقالُ: قال يقولُ قَولًا، أيْ: تَكَلَّمَ كلامًا، والقولُ يَقَعُ على الكلامِ التّامِّ، وعلى الكلمةِ الواحدةِ على سبيلِ الحقيقةِ، ويُستعملُ بمعنى جَميعِ الأفعالِ، كقولهم: قالَ بيدِهِ هكذا، أيْ: أخَذَ، وقال برجْلِهِ، أيْ: مَشَى[2]، والقولُ هنا مُرادٌ به القُرآنُ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣﴾ [الطّارق: 13][3].

3) ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: (ذكر) أصلُ الذِّكرِ: الحِفظُ الَّذي تَذْكُرُه، وهو خِلافُ النِّسيان[4]، ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ باللِّسانِ، فالذِّكْرُ ما ذَكَرْتَهُ بِلِسانِكَ وأظهرته، والذُّكْرُ - بضَمِّ الذّال - بالقَلْبِ، يُقالُ: ما زالَ مِنّي عَلَى ذُكْرٍ، أي: لَمْ أنْسَه[5]، والتَّذكِرَةُ: ما تُسْتَذْكَرُ به الحاجَةُ، واسْتَذْكَرَ الشَّيءَ: دَرَسَهُ للذِّكرِ، والاسْتِذْكارُ: الدِّراسَةُ لِلحِفْظِ، والتَّذَكُّر: تَذَكُّرُ ما أُنسيتَه[6]، وحقيقة التَّذَكُّرِ في الآية: خُطورُ تَذكُّرِ ما كانَ منسيًّا بالذِّهن، والمُرادُ به: الاتِّعاظُ والتَّدبُّر.

4) ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ﴾: (أتي) أصلُ الإيتاءِ: الإعْطاء، وآتَى يُؤاتي إيتاءً، وآتاهُ إيتاءً، أي: أعطاه، ويُقالُ: لِفُلانٍ أتْوٌ، أي: عَطاءٌ، وآتاهُ الشَّيْءَ، أي: أعطاه إيّاه، وآتاهُ على الأمْرِ: طاوَعَه[7]، والإيتاءُ: مُسْتَعارٌ للإنعامِ بالحالَةِ النّافِعَةِ؛ لِأنَّ شَأْنَ الإعْطاءِ أن يَكونَ تَمْكينًا بالمَأْخوذِ المَحْبوبِ[8]، والمرادُ بالإيتاءِ في الآية: الإعْطاءُ، وهو مُشْعِرٌ بأنَّ المُعْطَى مَرْغوبٌ فيه.

5) ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: (كتب) أصْلٌ صَحيحٌ واحِدٌ يَدُلُّ على جَمْعِ شَيْءٍ إلَى شَيْءٍ، مِنْ ذَلِكَ الكِتابُ والكِتابَةُ، يُقالُ: كَتَبْتُ الكِتابَ أكْتُبُهُ كَتْبًا، والكِتابُ: الشَّريعَةُ الَّتي مِنْ شَأْنِها أنْ تُكْتَبَ لِئَلّا يَقَعَ فيها تَغْييرٌ[9]، والكِتابُ: القُرْآنُ، وغيرُه مِنَ الكتب السَّماويَّة[10]، والمُرادُ به في الآيةِ: التَّوراةُ والإنجيلُ، وهو ما كُتِبَ منَ الوحيِ الَّذي خاطَبَ اللّه تعالى بهما موسى عيسى عليهما السلام.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قول).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (قول)، والنّووي، تهذيب الأسماء واللّغات: 4/ 106، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 277.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 142.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذكر).
(5) أبو عمرو الشّيبانيّ، الجيم، وابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذكر).
(6) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (ذكر).
(7) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (أتي).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 179.
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 98.
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، والفيروزابادي، القاموس المحيط، والزّبيديّ، تاج العروس: (كتب).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الحِكمةُ من الوَحي التَّذكُّرُ والاتِّعاظُ

يقولُ الحقُّ سبحانه مؤكِّدًا على قطعِ أعذارِ المشركينَ وحُجَجِهم: ولقد أتبَعْنا القُرآنَ بَعضَه بَعضًا، وشَيئًا فشَيئًا، لكُفّارِ العَربِ وأهلِ الكِتابِ، وبَيَّنّا فيه الوَعدَ والوَعيدَ، والتَّرغيبَ والتَّرهيبَ، والمواعِظَ، وأخبارَ الماضينَ؛ ليَعتبِروا، ويتَّعِظوا بالَّذين آمنوا بالتَّوراة والإنجيل مِن أهل الكتاب، ثمّ أدركوا محمَّدًا ﷺ، فآمنوا بالقرآن؛ لأنَّهم وجدوا في كُتُبِهم البشرى به، وانطباق الأوصاف عليه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) في: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾:

إقامةُ الحُجَّة على المعرضين إنصافٌ للنَّبيِّ الكريم

الواو في قوله تعالى: ﴿*وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ عاطفةٌ ما بعدَها على محذوفٍ يُقدَّرُ في نورِ مضمون المعطوفِ، وفي نورِ السِّياق القريب، مِن ذكر كتابِ نبيّنا محمّدٍ ﷺ، وبعضِ الكتب السّابقة عليه، ومِن عدم استجابة قومِه له بعدم إيمانهم بالكتاب الذي جاءهم به مِن عند الله، والتَّقديرُ - مَثَلًا كما ذكَر البقاعيُّ -: (فلقد آتيناكَ في هذه الآيات بأعظم البيّنات)؛ منبّهًا بحرف التَّوقُّع المقترنِ بأداة القَسَم على أنَّه مِمَّا يُتوقَّعُ هنا أن يقال: ﴿*وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾[2]، أو أن تكون الواو في قوله جلَّ شأنه: ﴿*وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ استئنافيَّةً[3]؛ وذلك للشُّروع بإقامة الحُجَّة على المعرضين، وبيانِ أنَّ إعراضَهم لم يكن إلّا جهلًا وكِبرًا منهم على الحقِّ.

دلالةُ التَّأكيد بـ (اللّام وقد):

في مراعاة إنكارِهم ومواجهتهم بعيبهم إبقاءٌ عليهم؛ إحسانًا إليهم

أكَّد النَّظمُ الجليل الجملةَ الفعليَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿*وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ باللّام الموطِّئة للقَسَم، و(قد)

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 273، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 295، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 71.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 499.
(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 271.

الدّالِّ على التَّحقيق[1]، وداعي التَّأكيد: أنَّ القرآن في السّباق القريب أبلغُ في إظهار الخفايا، وأكثرُ مِن نصب الأدلَّة على الحقِّ، وإقامةِ الوجوب على اتِّباع نبيِّنا محمَّد ﷺ، وذكرَ رفضَهم للقرآن في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: 48]، وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص: 50]، فكانوا بإعراضهم عن ذلك كلِّه كأنَّهم منكرون؛ لأن يكون جاءهم شيء مِن ذلك، فاقتضى حالُهم التَّوكيدَ القويَّ؛ فعُبِّر باللّام وقد[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل (وصَّل) مادَّةً وصيغةً:

في التَّوصيل المذكور امتنانٌ عظيم؛ فهو طريق جَعْلِهم أئمَّةَ الخيرِ والهدى

عبَّر النَّظمُ الجليل بلفظ التَّوصيل في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾؛ للدَّلالة على تتابُع نزول القرآن، فتوالى نزولُ قَصَصِه ووعظِه، ووعدِه ووعيده، وجعلَه تعالى موصَّلًا بعضَه ببعض[3]، وإنَّما عبَّر القرآنُ بما يفيد تواصلَ بعضِ القرآن إثرَ بعض في النُّزول، حسبَ الحِكمة والمصلحة، أو يفيد التَّتابُع في النُّزول وعدًا ووعيدًا، ونصائحَ وعِبَرًا، ومواعِظَ وقَصَصًا، إلى آخر ذلك، فيَستعينون بذلك على الإتقان في الفهم والتَّدبُّر والانتفاع؛ نظرًا إلى لفت أهل المعصية عمومًا، والذين لم يستجيبوا للرَّسول محمَّد ﷺ مِن قومه وفي زمانه خصوصًا - إلى عظيم رحمة الله بهم، وإحسانه إليهم، ولطفه بهم؛ لأنَّ هذا يُراعي أحوالَهم مِن حيثُ هم بشر يفتقرون إلى ذلك.

نُكْتَةُ إسنادِ الفعل لنون العَظَمة:

تتابُعُ الوحي مِنَّةٌ عظيمة منَ الله تعالى

أسند النَّظمُ الجليلُ لفظَ التَّوصيل إلى نون التَّعظيم في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾، أي: بما لنا منَ العظمة؛ لكونه

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 271.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 499.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 421، وابن جزيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 2/ 115.

منَ اللّه تعالى ذي الجلال والإكرام، عظيمِ الشَّأن[1]، ففي أسلوب التَّعظيم إنكارٌ لطيفٌ عليهم، يتعلَّق بأحوالهم التي مِن شأن توصيلِ القولِ أن يُباعِد بينَهم وبينَها.

معنى (اللّام) في القيد ﴿لَهُمُ﴾:

اللهُ لا يرضى ولا يُحِبُّ لعباده إلّا الخير

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجَرِّ (اللّام) في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾؛ للدَّلالة على علَّة التَّوصيل، وهي الانتفاعُ حِسًّا ومعنًى بذلك القرآن، فهو كائنٌ لأجل المُخاطَبين بهذا القرآن في كلِّ عصر ومِصر وجنس، وقريشٌ في المقام الأوَّل؛ لأنَّهم أوَّلُ مَن خوطِب به، ووراءَ ذلك مِنَ المعنى: بيانُ أنَّ التَّوصيل قد بلغهم، وتحقَّق وصولُه إليهم، والمُراد بالضَّمير الغائب قريش[2].

نُكْتَةُ تقديمِ القيد ﴿لَهُمُ﴾ على المفعول ﴿ٱلْقَوْلَ﴾:

الإبلاغُ في التَّذكير بالامتنان؛ إبلاغٌ في مواصلة الإحسان

قَدَّم النَّظمُ الجليل شِبهَ الجملة منَ الجارِّ والمجرور ﴿لَهُمُ﴾، على المفعول به ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه توصيلٌ خاصٌّ لهم، وذلك لتعظيم المِنَّة عليهم بهذا الوحي، وأنَّها تقتضي الشُّكرَ لا الإعراضَ[3]، ففي التَّقديم عتابٌ مشوبٌ بإنكارٍ عليهم، وتَعجُّبٍ منهم.

دلالةُ التَّعبيرِ عنِ القرآن الكريم بـ ﴿ٱلْقَوْلَ﴾:

القولُ الفصلُ الذي لا قولَ غيره هو القرآنُ الكريم

آثَرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عنِ القرآن الكريم بالقول في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾؛ للدَّلالة على خِفَّته وسهولته على عقولهم وقلوبهم وأنفسهم وفِطَرِهم؛ ليبنيَ على ذلك إمكانَ الانتفاعِ به، فيكونَ بذلك متناسقًا معَ الفعل: (وصَّل) مادَّةً وصيغةً، في نورِ ما سبقَ ذكرُه في ذلك، و(أل) في قوله: ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ إمّا أن

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 313.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 291.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 313.

تكون اللّام للعهد، أي: القول المعهود؛ للدَّلالة على أنَّه قول فصل، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣﴾ [الطّارق: 13]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠﴾ [الحاقّة: 40][1]، أو أن تكون اللّام للجنس؛ للدَّلالة على الكمال، فهو القول الكامل، والمُراد: جنس القول الذي يعتدُّ به، فلا قول على وجه الحقيقة إلّا هو[2].

سِرُّ التَّعبيرِ بـ (لعلَّ):

الـدَّلالـةُ على الـغـايـة من توصيل القول، فالتَّذكيرُ يُرجَى مـن مُـداومـة التَّوصيل

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف التَّرجّي (لعلَّ) في قوله جلَّ شأنه: ﴿*وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ للدَّلالة على الغاية من توصيل القول، وهي التَّذكُّر؛ وذلك لأنَّ الاستماعَ للقرآن كلَّ يوم، أو بين حينٍ وحين إلى جديد منه، أدعى إلى تذكُّرِهم واعتبارهم[3]، فالتَّذكيرُ أمرٌ يُرجَى وقوعُه من مداومة التَّوصيل، وفي ذلك أيضًا إشارةٌ إلى أنَّ الأصل أن يكون حالُهم مع توصيل القول الإلهيِّ إليهم، حالَ الذين يُرجَى لهم أن يرجعوا إلى عقولِهم، فيجدوا فيها ما يُعينُهم على التَّذكُّر بالحَقِّ، والانتفاعِ به، وفي التَّعبير بـ: (لعل) - الدّالَّة على الرَّجاء، دون اللّام التي هي للتَّعليل - إشارةٌ إلى أنَّ الله يُحِبُّ لهم أن يتذكّروا، ففيه تقريبٌ لهم.

عِلَّةُ التَّعبير بالتَّذكُّر، مادّة وصيغة:

التَّـذكُّـرُ الـدّائـمِ لتعاليم الوحي ينفي الغفلةَ عنِ النّاس

عبَّر القرآنُ بالتَّذكُّر - وهو السّابقُ على حصولِ الإيمان - للإبلاغ في ترغيبهم في سماع القرآن، وتلقّيه، وهم في حالِ تأهُّلِهم للفهم والتَّدبُّر والتَّذكُّر، وقد ترتَّب على هذا أن يُنظَم معنى التَّذكُّر فعلًا مضارعًا؛ تنبيهًا على طلب تَجدُّدِ التَّذكُّر منهم ودوامه؛ كلَّما رَأوا مِن أنفسهم وعقولهم رغبةً في ذلك، حتّى تظهرَ لهم حقائقُ القرآن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 142.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 313.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 418.

واضحةً جليَّةً، على ما يُفْهِمُه إظهارُ التّاء في الفعل: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ دون الإدغام: (يذَّكَّرون)، فالمرادُ انتفاءُ الغفلةِ عنِ النّاس، وأن يكونوا على ذِكْر دائم للوعظ والنُّصح واتِّباع الحَقِّ.

عِلَّةُ فصلِ جملة ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾:

فُصِلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ عمّا قبلها؛ لأنَّها مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ فلمّا أفهَمَ قولُه تعالى في ختام الآية السّابقة: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أنَّهم لم يفعلوا، ولم يكونوا عند رجاء ذلك؛ كأنَّ سائلًا سألَ، فقال: هل تذكَّر غيرُهم بالقرآن، أوِ استوى النّاس في عدمِ التَّذكُّر به؟ فقيل: إنَّ الذين أوتوا الكتابَ من قبل نزولِ القرآن قد آمنوا به[1]، ويَحْسُن أن يكون السّؤال المُقَدَّرُ: إذا لم يؤمن به هؤلاء العربِ؛ فمَن يؤمن به؟ فتكون هذه الآيةُ جوابًا عن ذلك السُّؤال.

ليس كلُّ النّاسِ معرضين عنِ الإيمان بالكتاب

عِلَّةُ التَّعبيرِ بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليل بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنَّه أراد به مَن آمن مِن أهل الكتاب[2]، وهم أشخاص معروفون معهودون، من بعض النَّصارى واليهود، مثل: ورقةَ بنِ نَوْفل وعبدِ الله بنِ سَلام، ومَدْحُهم بصِلة الموصول؛ لأنَّها مناطُ المعرفة والشُّهرة، وللتَّنبيه على أنَّ مِنَ النَّقل ما يُعين العقلَ على التَّذَكُّر المطلوبِ مِن مُخاطَبي رسول الله ﷺ؛ لأنَّ هذا القرآنَ لا يُخالِف الكتبَ السّابقة، بل يُؤَيِّدُها، وهي تُؤَيِّدُه.

الإيماءُ إلى وجه مَجيءِ الخَبرِ

سِرُّ التَّعبيرِ بالإيتاء، وصوغُه ماضيًا في ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾:

آثَرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ الإيتاء في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾؛ للدَّلالة على المجيء

للدَّلالة على المجيء السَّهل للكتاب الهادي إلى الحقِّ، وتحقُّق هذا الإيتاءِ وتأكيد وقوعه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 143.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 419.

السَّهل، فالله تعالى آتاهم الكتاب خاليًا من المعوِّقات، هاديًا لهم إلى سبيل الحقِّ، ولذا اهتَدَوا إلى أنَّ القرآن حقٌّ، فآمنوا به، فالتَّعبيرُ به يلحظ الامتنان على قوم رسول الله ﷺ في المقام الأوَّل، وعلى غيرهم بالتَّوصيل وبالقول، في قوله: ﴿*وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾، وجاء التَّعبيرُ عنه بالفعل الماضي للدَّلالة على تحقُّق هذا الإيتاءِ وتأكيدِ وقوعه.

لطيفةُ إسنادِ الإتيان إلى ضمير العَظَمة ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ﴾:

الإيتاءُ كائنٌ بجلال الله وعظيم قُدرته

أسند النَّظمُ الجليل لفظَ الإيتاء إلى نون التَّعظيم في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾؛ لتعظيم هذا الإيتاء، فهو واقع بعَظَمة الله تعالى[1]، وفي ذلك تفخيمٌ لشأنه، وبيانٌ لعُلوِّ مكانته؛ لمشاكلةِ إسناد التَّوصيل إلى أسلوب العَظَمة في قوله: ﴿*وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا﴾، فلماذا آمنَ هؤلاء، ولم يؤمن أولئك، مع التقائهم في ذلك الامتنانِ والمُمتَنِّ به؟.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾، ومعنى (أل) فيه:

تمامُ النِّعمةِ عليهم بإيتائهم العِلْمَ الكائنَ في الكتاب

عبَّر النَّظمُ الجليل بلفظ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾؛ للدَّلالة على المكتوب مِنَ العِلْم في التَّوراة والإنجيل وغيرهما من كُتُبِ الأنبياء[2]، وبهذا تكون (أل) لتعريف العهد، أي: الكُتب المعهودة لديهم.

معنى ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾:

زمن إنزال الكتب السماوية متصل ومتتابع

عبَّرَ النَّظمُ الجليل بحرف الجَرِّ ﴿مِن﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الزَّمان الذي جاءهم بِهِ الكتاب، هو بعض الزَّمان الكائن قبلَ القرآن[3]، فهو ليس زمانًا مطلقًا غيرَ مُحَدَّدٍ، وحضورُ هذا الحرف مِن قَبْلِ قوله: ﴿قَبۡلِهِۦ﴾،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 314.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 314.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 314.

هو ما تأسَّسَ عليه القول بأنَّ الكتاب هو التَّوراة والإنجيل، وتفسيرُ (أل) فيه.

دلالةُ التَّقييد بقوله: ﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾:

قولُه: ﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾ جارٌّ ومجرور، ومضاف ومضاف إليه، وهو متعلِّق بحال محذوف، أي: آتيناهم الكتاب كائنًا مِن قبل مجيء القرآن، والحالُ قيدٌ، وهو تابع للحال، وفائدتُه: التَّنبيهُ على أنَّ الكتابَ الَّذي أوتوه مِن قبل نزول القرآن يُصدِّقُ هذا القرآن، ففيه ذكرُه وذكرُ نبيِّنا محمَّد ﷺ، ويلتقي معَه في غير قليل مِن مضامين أصول الدِّين الإسلامي، ووراء ذلك مِنَ المعنى: أنَّ هذا القرآن فيه ذِكْرُ نبيِّكم محمَّدٍ ﷺ ووصفه، وهو قرآن يمشي على الأرض، فلماذا لا تستدلّون بلسان حاله فيكم – وقد لبث فيكم عُمُرًا من قبله – على صدق ما جاءكم به؟.

الكتبُ السّابقةُ تُصَدِّق القرآنَ، وحالُ نبيّنا محمَّدٍ ﷺ يُصَدِّقُهُ كذلك

دلالةُ التعبير بالجملة مركبة:

آثَرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عن إيمان أهل الكتاب بالجملة الاسميَّة في قوله جلَّ شأنه: ﴿هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾ خبرًا عنِ الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وجملةُ الخبر اسميَّةُ الصَّدر، فعليَّةُ العَجُز، فأمَّا الاسم: ﴿هُم﴾؛ فيدُلُّ على ثبات أصل الإيمان ورسوخه في أنفسهم وضمائرهم.

إيمانُهم ثابتٌ قطعيٌّ راسخٌ لا يُغَيِّره الزَّمان

وأمّا الفعل: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾؛ فيدُلُّ على أنَّهم يوقِعون الإيمانَ بالقرآن في حال وصولِه إليهم إيمانًا لا يزال يتجدَّد[1].

معنى (الباء) في القيد ﴿بِهِۦ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الجرِّ (الباء) في قوله جلَّ شأنه: ﴿هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾، وهو هنا دالٌّ على الإلصاق، أي: التصق إيمانُهم به؛ تعبيرًا عن كمال تحقُّق الإيمان به، ومرجعُ الضَّميرِ في قوله: ﴿بِهِۦ﴾، هو مرجعه في قوله: ﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾، أي: القرآن.

الدَّلالةُ على قَصْر إيمانهم على القرآن، وكمالِ تحقُّق الإيمان به

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/ 499.

وتقديمُ ﴿بِهِۦ﴾ على ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: للاهتمام به؛ لأنَّه المُحدَّثُ عنه المُحتفَلُ به في السّياق، وفيه دلالةٌ على قَصْر إيمانِهم عليه، أي: إنَّهم يؤمنون به خاصَّة، لا بشيء ممّا يُخالفه[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّوصيل والمتابعة:

التَّوصيلُ ارتباطُ الأجزاء وتتابعها، والمتابعة إلحاق

الاتِّصالُ: اتِّحادُ الأشياء بعضِها ببعض، كاتِّحاد طرفَي الدّائرة، ويُضادُّ الانفصالَ، ويُستعمل الوَصْلُ في الأعيان وفي المعاني، يقال: فلانٌ مُتَّصِلٌ بفلان؛ إذا كان بينهما نسبةٌ، أو مصاهرة، وقولُه ﷻ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾، أي: أكثرنا لهم القولَ مَوْصولًا بعضُهُ ببعض[2].

أمّا المتابعة؛ فهي من قولهم: أَتْبَعَهُ؛ إذا لحقه، قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝٦٠﴾ [الشّعراء: 60]، ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ [المؤمنون: 44][3]، فعُبِّر في الآية الكريمة بالتَّوصيل: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ لأنَّه اتِّصالُ آياتِ الكتاب بعضِها ببعض.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 314.
(2) الرّاغب، المفردات: (وصل).
(3) الرّاغب، المفردات: (تبع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»